برنامج أنوار كاشفة الرسالة إلى رومية الحلقة العشرون

صديقي المستمع، انتهينا في اللقاء الماضي من دراسة الأصحاح الثامن من رسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في مدينة رومية أو روما. وهي الرسالة التي تعتبر من أجزاء العهد الجديد من الكتاب المقدس.

وكان الرسول بولس قد أكد في الأصحاحات الثمانية الأولى من رسالته أن كل البشر خطاة سواء كانوا وثنيين أم يهودا. وأوضح موضوع التبرير بالإيمان، الإيمان بالمخلص يسوع المسيح وعمله الكفاري على الصليب. وبيّن الرسول بولس أن لا أحد يستطيع السير بموجب ناموس العهد القديم بسبب العبودية للخطية. بينما عندما يؤمن الإنسان بالمخلص المسيح يأخذ طبيعة روحية جديدة، ويصبح بإمكانه أن يسلك في طريق الصلاح. وكشف الرسول بولس عن الامتيازات العديدة التي يحصل عليها المؤمن في المسيح. إذ يصبح من أولاد الله، ويحل روح الله القدوس في كيانه، وترتفع عنه الدينونة، ويتأكد أن له حياة أبدية.

بهذه الأصحاحات الثمانية انتهى الرسول بولس من شرح الأساس العقائدي أو اللاهوتي للمسيحية، وجوهره موضوع البر بالإيمان. وكان عليه أن يبدأ الحديث عن السلوك اليومي للمؤمن المسيحي. لكنه بدلا من ذلك نجده يبدأ موضوعا آخر مخصّصا له ثلاثة أصحاحات. فقد كانت هناك معضلة هامة عليه أن يحلها أولا، وهي مشكلة الديانة اليهودية وعلاقة الله مع بني إسرائيل أو اليهود. فقد أقام الله عهده مع العبرانيين قديما وكانوا شعب الله المختار، وأتى المخلص المسيح منهم. وبالرغم من كل هذا نجد أن الغالبية منهم قد رفضت المسيح لا بل صلبته. فكيف نفسر هذا التناقض؟ وأيضا ما هو موقف الله منهم؟ هل رفضَهم نهائيا لأنهم رفضوا المخلص المسيح؟ أم أن باب الخلاص مازال مفتوحا أمامهم؟

حقا إنها تساؤلات هامة. لهذا بدأ الرسول بولس الأصحاح التاسع بالقول: "**أقول الصدق في المسيح. لا أكذب، وضميري شاهد لي بالروح القدس. إن لي حزنا عظيما ووجعا في قلبي لا ينقطع. فإني كنت أود لو أكون أنا نفسي محروما من المسيح من أجل إخوتي أنسبائي حسب الجسد.**" من المعروف أن الرسول بولس نفسه كان يهوديا، لا بل كان فريسيا ضليعا في الناموس اليهودي. وكان قبلا عدوا للديانة المسيحية ومضطهدا للمسيحيين، كما عرفنا من الحلقة الأولى. وكيهودي سابق أعلن وبكل وضوح، شاهدا الروح القدس على صدق كلامه، أن له حزنا ووجعا في قلبه بالنسبة لليهود من بني جنسه. حتى أنه كان يود لو يكون هو محروما من المسيح لكي يربحهم لخلاصه. لقد كان أعز شيء عند الرسول بولس أن لا يفصله فاصل عن محبة الله. ولكنه في رغبته عمل أي شيء لخلاص إخوته، يعرّض نفسه للحرمان من خلاص المسيح. وهذا يؤكد لنا عظم محبته لبني شعبه.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

ثم شرح الرسول بولس الامتيازات التي كان اليهود يتمتعون بها فقال في العددين ٤و٥: "**الذين هم إسرائيليون، ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد. ولهم الآباء، ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلها مباركا إلى الأبد آمين.**" كان اليهود أي الإسرائيليون سابقا هم أولاد الله الذين اختارهم، والعهد القديم مليء بفكرة التبني. وكان لهم المجد أي مجد الله من خلال حضوره في وسطهم، أولا في خيمة الاجتماع ثم في الهيكل. وكانت لهم العهود التي قطعها الله معهم. فقطع الله عهده مع آبائهم إبراهيم وإسحق ويعقوب. وقطع الله أيضا عهده معهم عندما أعطى الوصايا أو الناموس في جبل سيناء على يد النبي موسى. وكان لهم الاشتراع، أي الشريعة الإلهية التي أوضحت لهم كل قوانين الله. وكانت لهم العبادة في الهيكل، إذ كان باستطاعتهم عبادة الله والتقرب منه في الهيكل. وكانت لهم المواعيد، وهي مواعيد كثيرة. وكان لهم الآباء أي الآباء في الجنس والإيمان. وفوق الكل أتى المخلص المسيح منهم بحسب الجسد.

ولنلاحظ هنا أن الرسول بولس استخدم عبارة "**المسيح حسب الجسد.**" لأن المسيح هو كلمة الله الأزلي وابنه الوحيد، لكنه ولد في الجسد، من نسل إبراهيم ويعقوب الذي هو إسرائيل، ومن العذراء مريم التي هي من نسل إبراهيم، بحلول الروح القدس في أحشائها.

بدأ الرسول بولس بعد هذه المقدمة معالجته لمعضلة اليهود فكتب في العددين ٦و ٧ أ قائلا: "**لكن ليس هكذا حتى أن كلمة الله قد سقطت. لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون. ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعا أولاد.**" هنا كشف لنا الرسول بولس حقيقة هامة جدا. وهي: أن ليس كل من هو يهودي من جنس إسرائيل، يعتبر إسرائيليا بالنسبة لله. وليس كون الإنسان من نسل إبراهيم بحسب الجسد يعني أنه من شعب الله. لقد وضع الرسول بولس هذا المبدأ الهام لكي يكون الأساس في معالجته لمعضلة اليهود وعلاقتهم بالله.

إذن إن كلمة الله كما جاءت في العهد القديم لم تسقط، أي لم تتبدل أو تفقد مفعولها. والسبب كما تابع الرسول بولس في الأعداد ٧ب إلى ٩: "**بل بإسحق يدعى لك نسل. أي ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يحسبون نسلا. لأن كلمة الموعد هي هذه. أنا آتي نحو هذا الوقت ويكون لسارة ابن.**" (تكوين ١٢:٢١) يبدو واضحا أن الأمر يتعلق بوعد الله واختياره، فلم يكن كل اليهود هم أولاد الموعد، المختارون في مقاصد الله. ولم يكن كل نسل إبراهيم حسب الجسد أولادا لله، بل أولاد الموعد الذين اختارهم الله هم يحسبون شعب الله. وبرهن الرسول بولس عن ذلك بقوله أنه كان لإبراهيم ابنان، واحد بحسب الجسد هو إسماعيل من هاجر. وآخر بحسب الموعد هو إسحق من سارة، التي لم يكن ممكنا لها أن تنجب. وقد أعطى الله إسحق بنوية إبراهيم. إذن ليس كل نسل إبراهيم بحسب الجسد –أي الإسرائيليين– هم مختارون، بل أولاد الموعد الذين اختارهم الله هم الذين يُحسبون أولادا لله.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

ثم قدّم الرسول بولس برهانا آخر عن هذا الموضوع فكتب في الأعداد ١٠-١٣قائلا: "**وليس ذلك فقط بل رفقة أيضا وهي حُبلى من واحد وهو اسحق أبونا. لأنه لم يولدا بعد ولا فعلا خيرا أو شرا، لكي يثبت قصد الله حسب الاختيار، ليس من الأعمال بل من الذي يدعو. قيل لها أن الكبير يُستعبد للصغير. كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو.**" (تكوين٢٥:٢١-٢٣) من المعروف أنه عندما كانت رفقة زوجة إسحق حبلى بالتوأم عيسو ويعقوب، قال لها الله أن الكبير عيسو سيُستعبد للصغير يعقوب. وأعلن الله أنه أحب يعقوب أي اختاره ليتمم في نسله مقاصده، وأبغض عيسو. وحصل هذا قبل ولادتهما وقبل أن يفعلا خيرا أم شرا. وهكذا برهن الرسول بولس أن ليس كل نسل إبراهيم من اليهود هم مختارون من قبل الله. لكن المختارين منهم فقط هم الذين سيخلصون، عن طريق إيمانهم بالمسيح.

لعل السؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا الآن هو: هل هذا يعني أن الله ظالم؟ فهو يحب ويختار من يشاء. ويبغض ويرفض من يشاء؟ وأين عدالة الله؟ لقد أجابنا الرسول بولس عن هذه التساؤلات عندما كتب ابتداء من العدد الرابع عشر قائلا: "**فماذا نقول. ألعل عند الله ظلما. حاشا. لأنه يقول لموسى إني أرحم من أرحم وأتراءف على من أتراءف. فإذا ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذي يرحم.**" (تثنية٣٢:٤) اقتبس الرسول بولس هنا حادثة حصلت في العهد القديم عندما طلب النبي موسى من الله برهانا أنه مع شعب إسرائيل. فأجابه الله أنه يرحم من يرحم، أي أن رحمة الله ورأفته تتوقفان على إرادته هو تعالى فقط. يبدو واضحا إذن أن رحمة الله أو اختياره لا علاقة له باستحقاق الإنسان و عمله ومحاولاته لإرضاء الله، لكن على أساس إرادة الله وحدها. وما على الإنسان إلا أن يُلقي بنفسه تماما على رحمة الله ومشيئته .

ثم قدّم الرسول بولس حادثة أخرى فكتب في العددين ١٧و١٨يقول: "**لأنه يقول الكتاب لفرعون إني لهذا بعينه أقمتك لكي أُظهر فيك قوتي ولكي يُنادى باسمي في كل الأرض. فإذا هو يرحم من يشاء ويقسي من يشاء.** " (خروج٩:١٦) عندما ذهب النبي موسى إلى فرعون، حذّر فرعون أن الله أقامه في هذه المرحلة التاريخية ليُظهر فيه قوته. وبالفعل ظهرت قوة الله في فرعون الذي رفض أن يسمع كلام الله وحاول مقاومة مشيئته. فالله يرحم إذن من يشاء، ويُقسّي قلب من يشاء. أي يرحم من يتجاوب مع دعوة الله للخلاص، ويقسّي قلب كل من يرفض نعمة الله. إننا كبشر إذن لا نستطيع أن نطالب الله بشيء. وليس الله مدينا لنا بأي شيء، لأن الخالق ليس مديونا لمن يَخلِق. لكن علينا أن نأتي إلى الله بإيمان، ونلقي كل رجائنا على رحمته ونعمته. **(سنعالج مشكلة تعيين الله المسبق وعلم الله السابق في الحلقة القادمة إن شاء الله)**

أمام هذه الحقائق الروحية الهامة ما هو موقفك صديقي المستمع؟ لقد أعلن الله رحمته لنا بواسطة المخلص يسوع المسيح وموته الكفاري على الصليب. فهل تتجاوب مع عطية الخلاص المقدمة لك مجانا فيرحمك الله؟ أم ترفضها فيقسّي الله قلبك كما قسّى قلب الملك فرعون؟

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service